العطش

قصة

بقلم يحيى خليف

رأسي ثقيل .. ثقيل للغاية .. جسدي متعب .. اضغط على رأسي بشدة .. اخاف ان يسقط .. ينفصل عني .. يتدحرج امامي، فأترنح على الرصيف واتمدد وسط الشارع .

الشوارع مغلقة بالمتاريس .. بالحجارة .. والمحلات مقفلة الابواب ، وليس ثمة احد .. لا علامة واحدة تنبىء انك تعرف هذا الشارع ، وانت الذي كنت تقول انك تعرف المدينة بيتا بيتا ..

لا استطيع ان ارفع رأسي الى قمة الجبل ، رأسي ثقيل .. والجبل صمت ملتهب .. الجبل سهاد وقلق وتمزق ..

ترنحت في الجو قذيفة ، سمعت صوتها وهي تنزلق على الهواء .. وتنفجر كالرعد في مكان ما من المدينة ..

كان التفجر في دماغي .. في شرايييني .. وظلت عيناي تدوران ببلاهة في رأسي المتعب :

ـ انت ايها السيد .. انبطح على الارض ، قد تصيبك قذيفة ما .. تلفت حولي . ابحث عن الصوت الذي جذبني .. لم اشاهد احدا ، وفي الوقت نفسه احسست بعطش شديد .. احسست بجفاف في حلقي .. في عروقي .. تماما كما لو كنت اسير في حرب طبرق .

ـ انت ايها السيد .... حذار ..

هذه المرة ، استطعت ان احدد المكان الذي صدر منه الصوت.. كان الشخص الذي كلمني يلتصق بالارض ، وقبل ان اتفوه بكلمة امتلأ الافق بطلقات النار .

عاد الصوت يقول :

ـ ايها السيد .. خذ الارض ..

تمددت على الارض بجانبه، بدأت أشعر ان الدنيا تدور وتدور...

قال لي : ما الذي اتى بك الى هنا ؟

كنت اشعر انني مثل بهلوان يتأرجح في فضاء سيرك ، ويتعلق بخشبة صغيرة .

ـ سألتك لماذا جئت الى هنا ؟

حاولت ان اتذكر ، وبعد صمت طويل اجبته :

ـ ربما كنت انتظر المأذون الذي سيعقد قراني .

رفع الشخص رأسه ، فاكتشفت لاول مرة انه يلبس عمامة وجبة، وان له ذقنا تستهلك ثلاثة ارباع وجهه .

قال باهتمام :

ـ لا بد انك السيد سعيد بن محمد عبد الرحمن صالح اليوسف.

من جديد ، حاولت ان اتذكر .. ويا للعجب !!

ـ لا ادري .. هذا الاسم غير غريب .. قد يكون اسمي ..

ظل الاهتمام باديا على وجهه وهو يتفرس بي ، ثم قال :

ـ انت ذلك الشخص .. وانا المأذون .. لقد كنت قادما لعقد قرانك على الانسة كريمة التاجر المعروف السيد .. السيد .. السيد ...

لم ارفع حاجبي دهشة ، ولكنني قلت له : لا داعي لان تتذكر ايها المأذون .. هل معك حبة اسبرو ؟

مد يده وفتش جيوبه ، ثم قال : لا يوجد معي ، ولكن عندما ينتهي الاشتباك سيروق رأسك .

ـ وحلقي ناشف .. الا يوجد ماء هنا ؟

حدّق المأذون فيّ جيدا ، ثم قال كالملسوع :

ـ ايها السيد .. انت جريح .

لم يفاجئني ذلك ، ولم يرعبني .

عاد يقول : انني ارى خيطا من الدم المتجمد ينحدر من قمة رأسك الى رقبتك .. انت تحتاج لاسعاف سريع .

رفعت اصبعي ، وتحسست رقبتي ، وحين وضعت كفي امام وجهي.. رأيت الدم المتجمد قد انطبع عليها ، ولكني أيضا لم ارتجف.

قال المأذون : لمصلحة من يحدث هذا كله ...

ثم استطرد :

ـ اننا نحارب بعضنا البعض ، والعدو شامت بنا ..

كان يتكلم كما لو انه يعظ موعظة ، او يلقي خطبة حماسية ، فيما استمر صوت الرصاص يملأ الافق ، واستمر العطش يزرع في عروقي الملوحة واليباب .

فجأة !! جاء صوت سيارة .. اقبلت من نهاية الشارع يسبقها نفير بوقها ..

ـ انها سيارة اسعاف ..

هتف الماذون ، ثم صاح بي :

ـ قم واستوقفها .. انتبحاجة لاسعاف سريع . .

وجدت نفسي اندفع واقفا بشكل لا شعوري ، ووجدت نفسياخلع قميصي ، والوح بـه ..

توقفت السيارة بازائي ، ولم يكلمني السائق ، ولكن البابالخلفي انفتح ، واطل من ورائه وجه امرأة .. لا اذكر قط انني رأيت هـذا الوجه من قبل الا انني حين حدقت بها تذكرت عطشي ..

لم تسألني ، اذ بدا انها لاحظت خيط الدم المتجمد على رقبتي، وكل ما فعلته ، هو ان فتحت الباب على سعته ، واشارت لي بانادخل.

وجدت نفسي بداخل صندوق السيارة ، تفعم انفي رائحة العفافير .. وحين مدت اصابعها تتحسس جرحي ، لاحظت ـ رغم الالم ـ ان هناك شخصين غيري بداخل صندوق السيارة ، كانا يتمددان على حمالتين وقد استغرقا في اغفاءة عميقة ..

بدات تلف الضمادات حول رأسي .. ثم قالت :

ـ هل انت من قوات الميليشيا .؟

كان صوتها عذبا ، لكن سؤالها بدا محيرا للغاية ..

وحين طال صمتي عادت تقول :

ـ حسنا .. انت اذن مواطن عادي .. ساسجل ذلك في تقريري ...

شعرت انني سابدأ بالهذيان ، لكن فجاة ، كف كل شيء الا الصوت المجروح :

ـ ماء .. ماء ..

خيل الي في البداية انه صوتي ، لكن ، حين تململ جسد الرجل الذي يتمدد على حمالة الاسعاف سقطت نظراتي على وجهه ..

وجه وسيم ، الشاب لا يجاوز العشرين ، كان يتكوم على صدره الشاش والقطن والدم المتجمد .

قلت لها وقد توقفت عن تضميد جرحي :

ـ اهو فدائي ؟

هزت رأسها بالايجاب ، وفي الوقت نفسه ، عاد الشاب يتململ ، ويطلب الماء بصوته المجروح ...

قلت لها : ـ الا يوجد ماء هنا ؟

امتلات ملامحها باسى لا يطاق ، ونفت بهزة من رأسها .

شفتاي يابستان كشقي لوزة نخرتها شمس يونيه ..

كان الشاب وسيما للغاية .. وجهه حليق ، وشعره لا يزال يحتفظ بترجيلته ، الا ان شيئا ما جعلني الاحظ ان كل لمحه من ملامحه ترتجف .

واهتزت سيارة الاسعاف فجاة اهتزازة شديدة ، فندت عن الشخص الاخر الذي يتمدد على الحمالة المقابلة آهة .. استدارت المرأة اليه .. لم اكن بحاجة الى الذكاء لادرك انه جندي.. كان شابا هو الاخر، ابرز ما في وجهه الحنطي شاربه، وكان هو الاخر يتكوم الشاش والقطن على صدره .

قالت بنبرات حادة :

ـ كلاهما أستهدفه المؤامرة ..

وفي اللحظة نفسها ، جاء صوت الجندي بنفس النبراتالمجروحة:

ـ ماء .. أريد جرعة ماء ..

أرتسمت من جديد على وجهها تعابير غامضة ، كان يعوم فوق تلك التعابير سراب الصمت .

مرت لحظات ، ثم جاء صوت الفدائي :

ـ ماء

قلت لها : ـ الا يوجد قطرة ماء ..

ثم فوجئت بالملوحة تتجمد في حنجرتي ، فلم استطع ان استمر في الكلام .

قالت هامسة ، بنبرات رهيبة :

ـ ان حالتهما خطرة . خطرة للغاية .

بدت غيوم سوداء تعبر بؤبؤ عيني ، ومن خلال الغبش ، كانت الوجوه تبدو بلا ملامح ..

قلت : ـ أما آن لنا ان نصل الى المستشفى ؟

قالت : ـ حالتك جيدة . اما هما فلا أمل لهما في الحياة..

ـ ماء ..

ـ ماء ..

ـ جرعة ماء ..

ـ اين الماء ..

ـ ان حالتهما تسوء .. انهما ..

توقفت السيارة فجاة ..

قال السائق : ـ الطريق مغلقة ..

فتحت عيني على سعتهما ، كان الفدائي يتنفس وكانه يلهث ..

تركزت عيناي عليه .. بدا الغبش يرحل عن عيني رويدا رويدا ..

تحركت شفتاه .. احتقن وجهه .

صاحت المراة بالسائق :

ـ الا تستطيع ان تحضر شيئا من الماء ؟

مرت لحظات طويلة من الصمت ، ثم قال :

ـ ساحاول .. هناك بيت مفتوح النوافذ .. ساحاول .

اخذتشفتا الفدائي تكتسبان لونا أزرق ..

قالت المراة : ـ انها اللحظات التي تسبق النهاية .

وحين عاد السائق ، كان يحمل بيده كوبا يمتلىء بالماء .

تناولت المرأة الكوب بفرح ، ثم بللت اصابعها ، ومسحت بها الشفتين الزرقاوين ..

قلت لها : ـ اعطه جرعة .

مدت يدها ، ورفعت رأسه بلطف ، ثم قربت الكوب من شفتيه، وفي اللحظة نفسها ، جاء صوت الجندي خافتا : ـ ماء .. ماء ..

ازاح الفدائي شفتيه قبل ان يشرب نقطة واحدة ، واشار بعينيه وبملامح وجهه الى الجندي ..

قلت لها : ـ انه يطلب منك ان تسقي الجندي اولا .

سحبت يدها من تحت رأسه ، وانفتلت تجاه الجندي ..

وحين حاولت ان ترفع رأسه ، احست بثقله ، كان وجه الجندي ينز عرقا ساخنا ..

اسندت رأسه الى صدرها ، وقربت كوب الماء من فمه ، وفجاة..

قصائد محترقة

— ١ —

صدر الحكم الفاصل
على فوق الشرفه
رأس القاتل
عفوا ... رأس يشبه
رأس القاتل

— ٢ —

في العام المقبل ينمو الخوف
يحمل جيل الحب ... الرايه
في العام المقبل يمتد الجسر
الراقص للحرية
ويجيء الضيف

— ٣ —

وقف القائد دون رداء
ألقى خطبته الجوفاء
علقها فوق الاحجار ، على
الجدران المهترئة
أطعمها للأخشاب الصدئة
فارتحمت في الشرق الاضواء

— ٤ —

تتصادم فينا الغربة والاديان
تتصادم فينا القسوة
يتجه الواحد منا نحو الثورة
والآخر للعصيان
ما أغربنا .....
حين نعيش الموت برغبتنا
ما أقسانا .....
حين نعيش بلا عنوان

— ٥ —

في هذا الشرق النائم تسطع
شمس الغرب
في هذا الشرق يموت الحب
وتموت الرغبة حين تلامس
هذا الرعب

— ٦ —

يا أحبابي .....
حين يجيء الحب اليكم
حين يجيء الصوت
كونوا في مفترق الصمت
كونوا في الطرقات الصلبة
كونوا يا عشاق الوطن الضائع
يا اصحابي
حيث يموت الموت

حلب (ج.ع.س)

عصام ترشحاني

سكن دفعة واحدة .. كف عن النبض .. وتدلى رأسه بارتخاء ، وظل فمه مفتوحا ، فيما كانت قطرات من الماء تتناثر فوق شاربه .

خيل اليّ انها ستنهار باكية بعد حين وتنشج ..

كان وجهها ممتقعا ، فيما كان كوب الماء يرتعش في يدها ..

اخذت منها الكوب ، وكل شيء يحز عروقي ..

استدرت نحو الغدائي ، كان يتمدد ، وقد ازداد وجهه شحوبا ، وكان يغلق عينيه .

خيل اليّ في البداية انه نائم ، وحين هززته احسست بالبرودة تزحف نحو اطرافي ..

كان ينام في سلام ، كطفل وديع يستغرق في النوم بعد حمام ساخن ، ولم تكن تنبض في عروقه نبضة واحدة . وعند ذاك سقط الكوب من يدي دون ان ارتشف منه قطرة واحدة .

* * *

القت بي سيارة الاسعاف في المكان الذي اخذتني منه .. كان المأذون قد وقف وهو ينفض الغبار عن ملابسه ، وقبل ان يغلق الباب ، اطلت المرأة عليّ بوجه كئيب صامت ، وكانت عيناها واسعتين ومبللتين ..

وحين غابت السيارة في نهاية الشارع ، قال المأذون :

ـ لقد انتهى الاشتباك ..

لم اعلق على قوله بكلمة واحدة ، فأضاف متسائلا :

ـ من تلك المرأة التي أدامت اليك النظر ؟

بقيت صامتا ، فظل يقول :

ـ لعلها خطيبتك .. من يدري ، فانت هذا اليوم فقدت الذاكرة ..

من جديد تذكرت انني عطشان ، وان حلقي جاف ، فقلت لنفسي وانا اجاهد لكيلا اسقط :

ـ انها تبدو حزينة جدا كما لو انها ارملة اي منهما .

وفجأة . داهمني احساس حاد بالتمزق : لماذا ظللت متفرجا طوال النهار ؟

الاردن

يحيى يخلف